... عَطْفاً علىٰ قَلْبٍ بحبّكَ هَائم...

ما أكثر الدوافع إلىٰ محبة المصطفىٰ ﷺ ، مثال ذلك :

أن الله سبحانه جعله سبباً لهداية الخَلق ، وإلاّ كان الناس يعيشون في ظلامٍ دامس ، حيث شريعة الغاب ، فالقوي يأكل الضعيف ، إضافة إلىٰ التفرقة والتخلّف والجهل ، فجاء الحبيب المصطفىٰ فنوّر الله به القلوب والعقول .

إضافة إلىٰ حبّه صلوات الله عليه لأمته ، وحرصه علىٰ هدايتهم ، مصداق ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلوات الله عليه قال : «إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجلٍ استوقد ناراً ، فجعلت الدّواب والفراش يقعن فيه ، فأنا آخذٌ بحُجَزكم ، وأنتم تقحّمون فيه»[1] .

بل لم يقتصر ذلك علىٰ المسلمين، بل جعله الله رحمةً مهداة للعالمين، كما قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

ولأجله صلوات الله عليه وضع الله عن متّبعيه الإصر والأغلال التي كانت علىٰ من سبقهم من الأمم ، حيث دلّهم علىٰ الطيبات ، وأبعدهم عن الخبائث ، فكانت شريعة الإسلام هي الوسطية والاعتدال ، والتيسر والفطرة والسَّعة ، مصداق ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ

---

(١) صحيح مسلم : (١٨).

إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٦ ـ ١٥٧].

فقد كان في الأمم السابقة إذا أصاب ثوب أحدهم نجاسةٌ ما، فعليه أن يقرض الثوب بالمقاريض، أما في هذه الشريعة الخاتمة فقد خفّف الله عن هذه الأمة إكراماً لنبيّها صلوات الله عليه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أجل، هكذا كان حبيبنا محمد ﷺ!

لقد كان يحمل هموم الأمة، وكان يتمنّىٰ خلاصهم، وكان كثيراً ما ينسىٰ نفسه وهو يدعو ربّه لأمته، وكان كثيراً ما يبكي عندما لا يستجيب الناس لدعوته، وكان كثيراً ما يتأسّف علىٰ مواقفهم تجاه هذا الدّين الحنيف، ولذلك سلاّه الله وواساه أكثر من مرة، مثال ذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، وقوله عز وجل: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

فكيف علينا أن نُقابل ذلك الرسول الأمين ﷺ؟!

آن أنْ أفصح الكتابة عمّا ... بفؤادي من الغرام الخفيّ
ليس قلبي معلّق الفهم إلاّ ... بالحجاب المقدّس النبويّ
بجنابٍ يحلّ فيه رسول الله ... ذو الفخر المقام الزكيّ

* * *